امرأة فلسطينية: طفلي مات قبل أن يولد

الثلاثاء 27 فبراير 2024 08:13 م

روت امرأة فلسطينية من غزة لموقع "ميدل إيست آي" قصة إجهاضها أثناء التهجير والاعتقال القسري الإسرائيلي.
ومع تساقط القنابل وإرغام الجيش الإسرائيلي الفلسطينيين على الفرار، قاومت "شيرين أبو ضاهر" مغادرة منزلها في شمال قطاع غزة. كانت تخشى أن يؤدي السير الطويل إلى الجنوب إلى الإضرار بالطفل الذي لم يولد بعد والتي كانت حاملاً به. ولكن مع اشتداد الهجمات الإسرائيلية، اضطرت في نهاية المطاف إلى الفرار جنوبًا. هنا، تروي لموقع "ميدل إيست آي" الرحلة المميتة التي استغرقت خمس ساعات، والتي تحققت خلالها أسوأ مخاوفها.

وهذا ما روته "شيرين" للصحفية "هالة الصفدي":

اسمي شيرين أبو ضاهر، 40 عامًا، فلسطينية وأم لثلاثة أطفال من غزة. كنت أعيش في مخيم جباليا للاجئين، شمال مدينة غزة، وهي المنطقة التي تعرضت لقصف إسرائيلي مكثف منذ بداية الهجوم في 7 أكتوبر. أثناء الهجمات، تم قصف حينا وتدمير منزلنا. كان والداي وإخوتي قد غادروا جباليا بالفعل وهربوا إلى مدرسة في رفح.
في البداية تجنبت القيام بهذه الرحلة لأنني كنت في الشهر الثالث من الحمل. كنت أعلم أنها كانت طويلة وخطيرة للغاية. لم أكن أعتقد أنه سيكون خيارًا جيدًا، لكن لم يكن لدي خيار آخر.
قررنا، في النهاية، أن نذهب إلى هناك مع مجموعة كبيرة من الأشخاص. حزمت حقيبتين لنفسي ولأطفالي في ديسمبر، بالإضافة إلى بعض الوجبات الخفيفة والمياه اللازمة للرحلة.
غادرت المكان دون أن أعرف ما إذا كنت سأتمكن من العودة يومًا ما، أو ما إذا كان طفلي الذي لم يولد بعد سيعرف يومًا ما كيف يبدو حينا ومنزلنا. وضعت مشاعري جانبًا وهربت ولم أدرك ما ينتظرني على الجانب الآخر من قطاع غزة.

مشي إلى ما لا نهاية

بدأ المشي بلا نهاية. شعرت وكأننا لم نعد في غزة بعد الآن. لا شيء يبدو يمكن التعرف عليه. كنا نسير في أرض قاحلة بها القناصين والدبابات والجنود في كل مكان وسط الدمار الشامل. وبما أن لدي ركبة صناعية وكنت حاملاً، لم أتمكن من اللحاق بالباقي. كان علي أن أتوقف كل ساعة من أجل الراحة، الأمر الذي جعل الرحلة أكثر صعوبة بالنسبة لي ولأطفالي. وعندما وصلنا إلى نقطة التفتيش التي أقامتها إسرائيل على طول الطريق، أطلق الجهاز صفيرًا أثناء مروري به. عرفت أن السبب هو ركبتي الاصطناعية، وهذا ما قلته للجنود، لكنهم لم يهتموا.
أمروني بالصعود حيث كان الجنود الآخرون يقفون على قمة التلة. سمحوا لي بأخذ ابنتي الصغرى فقط، البالغة من العمر ثلاث سنوات. بدأ أطفالي الآخرون، الذين كانوا خائفين من الاستمرار بدوني، في البكاء. وبينما كنت أصعد إلى أعلى التلة، صرخ الجنود عليهم بأن يتحركوا ولا ينتظروا. لم أتمكن من فعل أي شيء لأن القناص كان متمركزًا بجواري مباشرةً.
أمرني الجنود بترك كل ما أحمله ورفع يديّ. تركت حقائب الظهر التي حزمتها، وأخذوا هاتفي بعيدًا. لم يكن لدي ماء أو طعام أو أي وسيلة للاتصال بعائلتي أو أطفالي.
وبينما كان القناص يصوب بندقيته نحونا، أصدر الجنود الأوامر: "امشوا بشكل مستقيم، انعطفوا يمينًا، انعطفوا يسارًا، توقفوا، سروا، لا تستديروا، أبقوا أيديكم مرفوعة".

تسلق قاتل

وبينما كنت أنتظر هناك، بدأ المطر يهطل. ثم أُمرت بتسلق الساتر الرملي الذي أقاموه، والذي يؤدي إلى قطعة أرض مرتفعة حيث كان يقف المزيد من الجنود. وبينما كنت أصعد، سقطت. شعرت ببعض الدم ينزل على ساقي، لكنني كنت خائفة جدًا من التحقق أو قول أي شيء. ظللت أنزف أثناء صعود التل. وعندما وصلت إليهم، قالوا لي أن أنتظر مرة أخرى. وقفت هناك لمدة نصف ساعة أخرى بينما كنت أنزف. في هذه المرحلة، كان بإمكان الجميع رؤيتي مغطاه بالدماء. وكان الجنود يفتشون الناس ويأمرون بعضهم بخلع ملابسهم. لقد شعرت بالرعب من أنهم سيطلبون مني أن أفعل الشيء نفسه.
رأيتهم ينظرون إلي ويتحدثون مع بعضهم البعض ويلتقطون لي الصور، شعرت بالحرج الشديد. شعرت بالعجز الشديد لدرجة أنني لم أستطع أن أطلب منهم التوقف أو القول إنني بحاجة لرؤية طبيب. شعرت كما لو أن هذا العالم القاسي للغاية ينهار من حولي. فكرت في طفلي الذي لم يولد بعد. هل كان هذا من أجل الطفل؟ لقد مات حتى قبل أن أعرف نوعه. وفكرت أيضًا في ابنتي الصغيرة التي كانت معي، وشهدت مدى ضعف والدتها وخوفها. كنت أفكر أيضًا في ولديّ اللذان اضطرا إلى الفرار بدوني. هل وجدوا من يسير معه؟ هل ما زالوا يبكون؟ هل أصيب أحد منهم بالرصاص؟

البكاء والنزيف

بعد فترة أخبرني جندي إسرائيلي أنه بإمكاني العودة إلى الطريق الطبيعي إلى رفح. نزلت إلى أسفل التل وأنا أبكي وأنزف. واصلت المشي بأسرع ما يمكن للبحث عن أطفالي. كانوا يبكون أثناء انتظاري بعد عبورهم نقطة التفتيش. كما تم أخذ الهاتف الذي كان بحوزتهم منهم. بمجرد أن رأيتهم، انهار جسدي. كنت أنزف بشدة ولم أستطع التحرك إلا بصعوبة. شعر الأطفال بالرعب عندما رأوني مغطى بالدماء. ظنوا أنني أُصبت بالرصاص وأنني أموت.
رآني رجل عجوز على عربة يجرها حمار وشعر بالأسف من أجلي. عرض أن يأخذني إلى مكان آمن حيث يستطيع أخي اصطحابي بالسيارة. استخدمت هاتفه واتصلت بأخي الذي كان ينتظرنا في مخيم النصيرات وسط قطاع غزة. وأخذنا أخي إلى المدرسة التي كانوا يحتمون بها قبل أن تنقلني سيارة إسعاف من هناك إلى المستشفى الإماراتي.

فقدت الكثير من الدم وكان جسدي ضعيفًا جدًا وفقدت طفلي الذي لم يولد بعد أنظر إلى ما حدث لي وأشعر بالصدمة، وكذلك أطفالي

لا ينبغي لنا أن نعيش بهذه الطريقة لو لم أضطر إلى القيام بهذه الرحلة المميتة لكان طفلي على قيد الحياة

https://www.middleeasteye.net/news/war-gaza-my-unborn-baby-was-dead-i-even-knew-gender